رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

صناعة السلام

في لحظة يحاول فيها لبنان ان يمسك مجددا ببوصلته السياسية، ويستعيد سرديته الوطنية الجامعة، تأتي زيارة البابا لاوون الرابع عشر لتشكل حدثا يتجاوز الرمزية الدينية، ويعيد طرح سؤال الكيان نفسه: ما الذي تبقى من "وطن الرسالة" حين تتصدع الدولة ويتعب المعنى؟ انها زيارة تعيد وصل ما انقطع بين الفاتيكان والفكرة اللبنانية، بين الايمان كقيمة مدنية اجتماعية، وبين السياسة كاختبار للعقل. ففي لحظة من الاجهاد الوطني، تأتي زيارة بابا الفاتيكان الى لبنان مثابة استدعاء للتاريخ ونداء للضمير المسيحي اللبناني والمشرقي ليستعيدا دورهما تحت شعار "طوبى لصانعي السلام" (متى 5:9). عرف لبنان في تاريخه محطات كبرى مع الكرسي الرسولي، من بولس السادس الى لاوون الرابع عشر. وفي كل مرة كان الحبر الاعظم يحمل رسالة تتجاوز الطائفة الى الانسان، وتتخطى الكنيسة الى الشرق كله. واليوم، تأتي الزيارة مثقلة بما ينتظر لبنان، ومحملة بإرث روحي وفكري كثيف.

حين زار البابا بولس السادس الشرق في سبعينات القرن الماضي، تحدث عن "العيش معا في البيت الواحد" لا كعبارة بروتوكولية، بل كصوت نبوئي يستعيد معنى "الجيرة" في التاريخ الروحي والثقافي والحضاري للمنطقة. في تلك اللحظة كان التأسيس الاول لفكرة "المسيحي العربي" بوصفه شريكا في صناعة العالم العربي، لا زائرا فيه ولا شاهدا على افوله. وقد بقيت هذه الفكرة، على هشاشتها السياسية، واحدة من اعمدة الوجود اللبناني الحديث.

في التسعينات، حين جاء يوحنا بولس الثاني الى لبنان، حمل معه عبارة تحولت الى شعار وطني: "لبنان اكثر من وطن، انه رسالة". كانت هذه العبارة مثابة اعادة تعريف للبنان ككيان مدني وروحي في آن واحد. وقد شكل ذلك النداء ارضية لوعي جديد لدى كثيرين، مسيحيين ومسلمين على السواء، بأن الرسالة اللبنانية لا تختزل في حدود الجغرافيا، بل في اخلاقية الحوار ذاته: ان تكون لبنانيا يعني ان تحيا وتعيش في قلب التعدد بلا خوف.

جاء بنديكتوس السادس عشر الى العالم العربي في مرحلة كانت فيها المواجهة بين الاسلام والغرب تحتدم بفعل الحروب والارهاب وصعود الاصوليات. ورغم الجدل الذي رافق بعض خطبه، فان فكره اللاهوتي العميق اعاد طرح سؤال العلاقة بين الايمان والعقل، وبين الدين والعنف. لقد خاطب المسيحيين العرب بوضوح: ان مسؤوليتهم التاريخية تكمن في ان يكونوا الجسر بين ثقافتين، لا طرفا في صراع بينهما. كان يرى ان الشرق، بما فيه من ديانات متجاورة، هو المختبر الطبيعي لتجديد العلاقة بين الله والانسان عبر الحوار لا العداء.

اما البابا فرنسيس، فقد خطط لزيارة بيروت أكثر من مرة، لكن مرضه حال دونها. ومعه اتسعت الرؤية لتصبح أكثر انخراطا في جروح العالم. فالرجل القادم من اميركا اللاتينية حمل معه خطابا اجتماعيا وانسانيا غير مسبوق في تاريخ الكنيسة الحديثة. حين تحدث عن لبنان والعالم العربي، كان يرى في المنطقة مثالا على التهميش المزدوج: اقتصاديا وروحيا. لذلك دعا الى "ثقافة اللقاء"، لا كترف بل كضرورة وجودية. وحين وجه نداءه الى المسؤولين في لبنان "كي لا يسمحوا بسقوط وطن الرسالة"، لم يكن يتحدث بلغة الواعظ، بل بلغة التحذير التاريخي: اذا سقط لبنان، يسقط معنى العيش العربي نفسه.

اليوم، مع زيارة البابا لاوون الرابع عشر، يبدو لبنان كمن يقف على حافة الخوف والقلق من احتمال الغياب المزدوج: غياب الدولة وغياب المعنى.

على الرغم من الصورة السوداوية التي ترتسم فيها المنطقة، وتعكس انهيارا اقتصاديا واجتماعيا، وتزايدا في وتيرة الهجرة، وتآكلا للروح الجماعية تحت وطأة الانقسامات، يختار الحبر الاعظم المجيء الى لبنان، لا ليبارك الاطلال، بل ليوقظ فكرة صناعة السلام في مجتمع متعدد ومتنوع.

إلى العدد المقبل